

An Investigation of Nonce Plural Nouns in Surah al-Shua'ra: The Word "شرذمة" as an Example

Article Type: Research

Seyyed Reza Soleimanzadeh Najafi¹, Ali Salarpour^{2*}

¹.Associate Professor of Arabic language and Literature, University of Esfahan, Faculty of foreign Languages, Iran, Esfahan.

². PhD student of Arabic Language and Literature, University of Esfahan, Faculty of foreign Languages, Iran, Esfahan.

Abstract

This study looks into some Arabic words of the human category indicating number and lacking a singular form. One of these nonce words is "شرذمة" which occurs just once in in Surah al-Shura'a. The study aims at examining the different senses of the word, its phonetic and inflectional structure and the views of linguists and lexicographers about it, especially when the word is followed by "فليل" as predicate or adjective. Also explored are the aesthetic aspects and the rhetorical functions of this word in the sentence in which it is used. The study consists of an introduction and five topics dealing with linguistic and rhetorical issues, structural and syntactic aspects and the harmony of sound and sense. Partaking of a qualitative and analytical methodology, the study bears on the rhetorical and stylistic miracle of the Holy Quran. The results of the research indicate the impossibility of replacing a word with another one as well as the fact that number can bear meaning in the Holy Quran.

Keywords: nonce words, Surah al-Shua'ra, The Word "شرذمة", inflection, sound and sense.

*Corresponding Author

ali.salarpour.phd95@gmail.com

دراسة أسماء الجمع الفدّة في سورة الشعراء

كلمة (شرذمة) نموذجاً

نوع المقالة: أصيلة

سيد رضا سليمانزاده نجفى، على سالارپور*

١. أستاذ المشارك قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اصفهان، كلية اللغات الأجنبية، إيران، اصفهان

٢. طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اصفهان، كلية اللغات الأجنبية، إيران، اصفهان

تاريخ قبول البحث: ١٤٠٢/١٠/١٥

تاريخ استلام البحث: ١٤٠٢/٠٣/٢١

الملخص

تتناول هذه الدراسة مسألة دلالة بعض ألفاظ المجموعات البشرية على العدد التي تدل على الجمع بالرغم من عدم وجود مفرد لها من لفظها. من هذه الألفاظ الفريدة لفظة «شرذمة» التي جاءت مرة واحدة في سورة الشعراء في قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾. تهدف الدراسة إلى الوقوف على أصل هذه المفردة ودلالاتها المعجمية وأبنيتها الصوتية والصرفية مستصحباً مناقشة آراء النحاة والصرفيين حولها لا سيما جمع «قليلون» الواقعة بعدها نعتاً أو خبراً، ومن ثم دراسة النواحي الجمالية والأغراض البلاغية في السياق الذي استعملت فيه. قد بُنيت هذه الدراسة على تمهيد وخمسة مباحث محاولة فيها إبراز أهم خصائص اللغوية والبيانية ومعرفة بنيتها التركيبية وتوظيفها النحوية في الجملة والانسجام بين الأصوات ومعانيها وأثره في الدلالة. قامت هذه الدراسة على المنهج الاستقراء والتحليل لبيان اعجاز القرآن الكريم البياني واللغوي في انتقاء الألفاظ والتعبير بما عن المعاني، وكان من أبرز نتائج هذه الدراسة عدم إمكانية إحلال كلمة مكان كلمة أخرى في سياق واحد في القرآن الكريم وكذلك جواز الحمل على المعنى في العدد.

الكلمات الرئيسية: الألفاظ الفريدة، الشعراء، شرذمة، الصرف، الصوت

المقدمة

إنَّ للأساليب القرآنية روعةً وجمالاً ولمفرداتها فصاحةً، وهذه الدراسة تتوقف مع القرآن فيما ترتبط بالجانب الصوتي والصرفي، مركزةً على لفظة شرذمة وهي من الألفاظ الفريدة في القرآن الكريم التي لم تتكرر إلا مرةً واحدةً على لسان فرعون في قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرذمة قَلِيلُونَ﴾. رغم أنَّ كلمة شرذمة وإن كانت لفظها مفرداً مؤنثاً كان الأولى أن يصفها بلفظ مفرد ويقول: شرذمة قليلة لكن نرى بأنَّ فرعون وصفهم بصيغة الجمع المذكر السالم، فماذا وجه الجمع؟ قد دفعني هذا إلى البحث عن سبب هذا التغير الأسلوبي. تهدف الدراسة إلى التعريف بالمفردة «شرذمة» لغةً ومعرفةً الكيفية التي تناول بها علماء اللغة والمعاجم والمفسرين لهذه الفريدة، تحليل آراء علماء الصرف والنحو حول أصل كلمة شرذمة ومبناها وتحديد مخارج حروفها وصفاتها الصوتية، التعرف على هذه الفرائد ولفت انتباه الباحثين إلى أغراضها البلاغية، يساعدهم في تقديم دراسات جديدة لتطرقوا بالجوانب الجديدة لبعض الألفاظ الفريدة القرآنية بصورة نافعة وعميقة، تسليط الضوء على أهمية حاجة السياق لهذه الفرائد حيث لا يمكن أن تحل محلها مفردة أخرى حتى تنسجم وتتناغم مع ما قبلها وما بعدها.

تكمن أهمية دراسة الموضوع في أنَّ كثيرةً من المفردات التي جاءت مرةً واحدةً في القرآن هي ألفاظ مجهولة المعنى حتى لدى أهل اللغة، ومعرفتنا بمثل هذه المفردات وكيفية استخدامها في النظم القرآنية يساعدنا كثيراً في إبراز إعجاز القرآن وفهم معانيه وبلاغته مغايرةً بطرق السابقة. من جهة أخرى نرى الفرائد القرآنية تؤدي دوراً أساسياً في التعبير القرآني، لهذا يجب على الدارسين دراستها بصورة دقيقة ضمن بحوث مستقلة، حيث نرى الباحثين قديماً يتناولها بصورة متناثرة. عند النظر إلى كلمات القرآن الكريم ومعانيها، لاحظنا بأنَّ الله سبحانه وتعالى عبّر عن أدق المعاني بعدد قليلة من الحروف والكلمات في نظام بديع دون أي خلل أو نقص في السياق، من هذا المنطلق

اخترنا في هذه الدراسة لفظة الشردمة مشتاقين إلى الغوص في معرفة بنيتها ودلالاتها. لكن ليست الدراسة محصورةً على الجانب الصرفي والدلالي في المعاجم وكتب المفسرين فقط بل تطرقنا إلى البنية الصوتية لهذه اللفظة بالنظر إلى آراء البلاغيين والنحويين حولها، اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي للإجابة عن هذه الأسئلة:

- كيف تكون علاقة بين أصوات حروف هذه الفريدة مع المعنى؟

- ما هي العلة التي لم تتكرر هذه المفردة النادرة في غيرها من السور القرآنية في سياق مشابه لسياقها؟

- لماذا اختار كلمة شردمة تغنيها عن ترادفها لاستيفاء المعنى في هذا الموضوع؟

- ماذا وجه عدم إتيان اسم المفرد بدلاً من الجمع صفةً أو خبراً لشردمة؟

خلفية البحث

من الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث؛ فمنها من اهتم بالجانب الصوتي أو المعجمي فقط، دون أن تشير إلى غيرها من الدلالات، مثل: «دلالة أبنية الجموع ذات الأصل اللغوي الواحد في القرآن الكريم» لحمزة الكريشيّ جامعة بابل وقد حاول الباحث إلى تبين الفروق الدلالية الدقيقة لجملة من الجموع في القرآن الكريم، ودراسة دلالتها التصريفية والمعجمية في مكان واحد بالرجوع إلى كتب معاني القرآن وغيره، وكتب الفروق اللغوية فضلاً عن كتب النحو والتصريف. وأيضاً دراسة مثقال أحمد عريبات وأحمد شكري شابسوغ (٢٠١٨م) وهي بعنوان «الألفاظ الفريدة في كل من سورة الفتح، الحجرات، ق» يتناول الدارسان في هذه الدراسة الألفاظ القرآنية الفريدة في السور المذكورة دراسة دلالية وهي الألفاظ التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرةً واحدةً من الناحية اللغوية والاشتقاقية، يعتمد هذا البحث على استقراء تلك المفردات التي انفردت بها كل سورة من السور سابقة الذكر، وما قيل عنها من دلالات ومعاني، وما قال أهل التفسير عن السورة وموضوعها. نلاحظ أنّ كلّ هذه الدراسات لم تشمل جميع جوانب سمات الفرائد القرآنية بل ذُكر فيها قليل من الصفات التي تحتاج إلى البحث والتأمل، لكن في هذه الدراسة عالجتها معالجةً وافيةً أي من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة جمالياتها البلاغية دون الوقوف على اللفظة القرآنية. لهذا اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى خمسة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

تعرضت في المبحث الأول بتعريف الصرف والصوت لغةً واصطلاحاً، وقد بينت فيه المقصود باسم الجمع، أما المبحث الثاني فجعلناه تحت عنوان المسار الدلالي لشردمة، تناولت فيه ما جاء في كتب المعاجم واللغة من معان ودلالات. ذكرت في المبحث الثالث أقوال الصرفيين في بنية تركيبية شكّلت هذه المفردة ووزنها، تحدّثت في القسم الرابع عن هذه الكلمة صوتياً أي من جهة صفات حروفها من شدة ورخاوة ومناسبة أصوات حروف هذه الفريدة والمعاني التي تدل عليها تلك الحروف وتطرقت في المبحث الخامس بتحليل آراء العلماء نحوياً والكشف عن نكات بلاغية من خلال السياق الذي وردت فيها وختمت بأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث:

المطلب الأول: اسم الجمع لغةً واصطلاحاً

هناك كلمات تستخدمها العرب تدل على معنى الجمع وما لها مفرد من لفظها. جاءت بعض هذه الكلمات على وزن معيّن من جموع التكسير، وبعضها جاءت على أوزان أخرى. من هذا المنطلق فإنّ الألفاظ التي جاءت على أوزان الجمع القياسي فإنّها تعتبر جمعاً ولكن منها ما وردت عليها يسمونها اسم الجمع. كما قال سيوييه عن اسم الجمع بأنّه الاسم الذي لم يكسر عليه واحده للجمع إذ قال: «هذا باب تحقير ما لم يكسر عليه واحده للجمع، ولكنّه شيء واحد يقع على الجميع فتحقيره كتحقير الاسم الذي يقع على الواحد؛ لأنّه بمنزلة إلا أنّه يعني به الجميع، وذلك قولك في قوم: قوم وكذلك في نفر والرهط والنسوة» (سيوييه، ١٤١٢هـ، ٣: ٤٩٤). ووصفها الأشموني في شرحه على الألفية مقارنةً بينها وبين الجمع: الفرق بين الجمع واسم الجمع من وجهين: اللفظي والمعنوي، اللفظي فهو أنّ الاسم الدال على أكثر من اثنين إن لم يكن له واحد من لفظه، فيما أن يكون على وزن خاص بالجمع، نحو: أبابيل وعباديد أو غالب فيه، نحو: أعراب، فهو جمع واحد

مقدر، وإلا فهو اسم جمع، نحو: رهط، وإبل. أمّا المعنوي، فهو: أنّ الاسم الدال على أكثر من اثنين إمّا أن يكون موضوع المجموع الآحاد المجتمعة، دالاً عليها دلالة تكرر الواحد بالعطف، وإمّا أن يكون دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه. فالأول هو الجمع، سواءً كان له واحد من لفظه مستعمل، كرجال وأسود، أو لم يكن كأبايل، والثاني هو اسم الجمع سواءً كان له واحد من لفظه كركب وصحب، أم لم يكن، كقوم ورهط (الأشعري، ١٤١٩هـ، ٣: ٧٠٣). عند النظر إلى اسم الجمع نلاحظ بأنّه يوافق مع الجمع في بعض الجوانب ويخالفه في جوانب أخرى وعلى هذا فإنّ الفرق بين الجمع واسم الجمع يكون على الصورة الآتية:

أولاً: إنّ اسم الجمع ما لا واحد له من لفظه وليس على وزن خاص بالمجموع أو غالب فيها مثل قوم ورهط، أو له واحد لكنّه مخالف لأوزان الجمع مثل ركب في جمع راكب أو له واحد وهو موافق لها لكنّه مساو للواحد في النسب إليه مثل ركب اسم جمع ركوبة ونقول في النسب ركابي والجمع لا يُنسب إليه على لفظه إلا إذا جرى مجرى الأعلام وأهمل واحده وهذا ليس واحداً منهما، فليس بجمع (الحملوي، د.ت، ١٧٠٠١).

ثانياً: إنّ الجمع يرد إلى واحده في النسب مطلقاً وفي التصغير إن كان جمع كثرة، وأمّا اسم الجمع فلا يرد؛ لأنّه إمّا أن لا يكون له واحد حتى يرد إليه، وإمّا أن يكون له واحد لكن لا يصح الرد إليه؛ لأنّ اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ (الأسترايادي، ١٤٠٢هـ، ٢: ١٩٣). والذي يبدو لي لا فرق بينهما إلا في اللفظ، فاسم الجمع مفرد في اللفظ، جمع في المعنى، ولكن الجمع، جمع باللفظ والمعنى.

المطلب الثاني: الصوت لغةً واصطلاحاً

الصوت من صات يصوت صوتاً فهو صائت ومعناه صائح، وفي اللسان، الصوت: الجرس معروف، صات وصوّت: نادى، رجل صيّت: شديد الصوت عاليه والحسن» (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٣: ٥٧). فالدلالة اللغوية المعجمية للصوت تشير إلى الصياح والدعاء والنداء وفي هذا يقول الجاحظ: «الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، لن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف» (الجاحظ، ١٤١٨هـ، ٧: ٧٩). بناءً على ما أشار إليه الجاحظ يظهر لنا أهمية الصوت

بأنه اللبنة الأساسية في البناء اللغوي وخاصةً في الكلام، لكن الأمر الذي جعل القدامى يولون اهتماماً لدراسة الصوت تعدد القراءات القرآن الكريم، فمخارج الصوت وصفاته كما نراه في كلام الرافعي: «إنما أخذ أكثرها من ألفاظ التراث لا من كلام العرب وفصاحتهم، إنَّ طريقة النظم التي اتَّسقت بها ألفاظ القرآن وتآلفت لها حروف هذه الألفاظ، إنَّما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي (ص) فجعلت المسامع لا ينبو عن شيء من القرآن» (الرافعي، ١٤٢٤هـ، ١٤٧:١).

المطلب الثالث:

الصرف في اللغة والاصطلاح

يعرّف الصرف بالتغير، والتغلب، والتحويل من جهة إلى أخرى، وفي الاصطلاح ما يلحق بنية الكلمة وجوهرها لمعرفة ما فيها من تغييرات عارضة طلباً لتكثير الألفاظ، ومن ثم تكثير الدلالات، وفقاً للتغييرات التي طرأت على اللفظ، وفي بعض الحالات يكون التغير لا صلة له بالمعنى كما هو الحال في مسائل الحذف والإبدال والقلب والنقل والإعلال والإدغام وغير ذلك مما لا يتصل بضرب من ضروب المعاني (نحر، ١٤٢٧هـ، ٤٥:١). لذلك فإنّ لكل بناء من الأبنية دلالة في المعنى، إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية التي يقوم عليها المعنى المراد، فالمتكلم هو الذي يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية، بزيادة أو نقصان، أو نقل من زمان إلى زمان أو تحويل في الصيغ الصرفية. فكلمة (الضرب) تتصرف إلى أشكال مختلفة فيبني للماضي منه ضَرَبَ وللحاضر يَضْرِبُ وللنهي لا تَضْرِبُ وللفاعل ضارب إلى غير ذلك من الأمثلة المتنوعة لاختلاف المعاني (عكاشة، ١٤٣٢هـ، ٦١:١). عند النظر إلى أبنية الألفاظ يظهر لنا أنّ أيّ تغيير في الصيغة الصرفية

ينتهي إلى تغيير الدلالة ومن الواضح أنّ لصرف الكلمات أي تغيير أبنيتها تأثيراً ملحوظاً في معانيها في الكلام.

المبحث الثاني: القسم التطبيقي

المطلب الأول: المسار الدلالي في كلمة (شرذمة)

استعملت كلمة الشرذمة في اللغة العربية على معانٍ مختلفة، فأصل هذه الكلمة في اللغة القطعة من الشيء كما قال الخليل: «الشَّرْذِمَةُ: القطعة من السَّفْرَجلة ونحوها وثياب شَرَاذِم أي: أخلاق متقطّعة» (الفراهيدي، دت، ٣٠٢:٦). وفي لسان العرب: الشَّرْذِمَةُ القليل من الناس وقيل الجماعة من الناس القليلة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٣٢٢:١٢). عند النظر إلى قوله الجماعة القليلة، يلحظ التغير في أنّ وصف الشرذمة جاء بلفظة قلبون، فيكون المعنى (شرذمة) على هذا القول الجماعة وليس القليلة، لكن اللغويون ليسوا متفقين في معنى هذه اللفظة على عدد معين، مثل كلمة الجيش وهو من ألف إلى أربعة آلاف (الثعالبي، ١٤٢٢هـ، ١٥٦:١). ذهب أبو هلال العسكري إلى أنّ لفظه (شرذمة) تدل على جماعة مقصودة؛ لهذا يقول عند التفريق بين شرذمة وبين كلمة الجماعة «إنّ الشرذمة البقية من البقية والقطف منه والقطعة منهم». قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ لأنّ فرعون أضلّ منهم الكثير فبقيت منهم شرذمة أي قطعة (العسكري، ١٤١٨هـ، ٢٨١:١). نستنتج من هذا أنّ لفظه (شرذمة) تدل على معنيين الأول: وجود قطعة ممزقة متفرقة قليلة، نحو قول الشاعر:

جاء الشتاء وميمصّي أخلاق شراذم تضحك مني التواق

(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٠:٨٩)

الثاني: تُعتبر من الاصطلاحات التي تدلّ على المجموعات العسكرية وقد وصفه بأنّ الشرذمة جماعة قليلة من الجند، يقال: بعث الأمر شرذمة إلى العدو وطارد الجيش شراذم العدو جماعته القليلة التي مزقتها الحرب» (خطاب، ١٣٨٦هـ، ٣٩٨:١). ونحو خطبة على بن أبي طالب (عليه السلام) عند المسير إلى الشام قيل إنّّه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين حيث قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٍ وَعَسَقَ، أَمَّا بَعْدُ، فَفَدَّ بَعَثْتُ مُقَدِّمِي وَأَمَرْتُهُمْ بَلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوْطِئِينَ أَكْثَافَ دَجَلَةَ، وَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ (نحو البلاغة، الخطبة: ٤٨). من هذا المنطلق فإنّ كلمة (شرذمة) تدل على جماعة

الشرم بمعنى الخرق والمزق والقطع، و(الشذر) الذي يدلُّ على التفرق والتميز، و(الشذ) الذي يدل على الانفراد والمفارقة: اشتقاق أكبر» (المصطفي، ١٣٨٥هـ، ٤٠:٦). وربما قد شكّلت من أصلين متقاربين في المعنى، الأول: (شرم) التي ذكرناه آنفاً والآخر (رذم) التي تدلُّ على الجماعة القليلة من النَّاس المتفرقين أيضاً (مجموعة من المؤلفين، ١٤٢٧هـ، ٣٤٠:١). بناءً على ما ذكرناه نلاحظ في هذه اللفظة الفريدة معنى التحقير والتصغير للموصفين، لدلالاتها على البقية من كل شيء خسيس، هذا الرأي الذي ذهب به السمين الحلبي (الحلي، د.ت، ٥٢٢:٨). و(شرذمة) تجمع على شراذم وشراذيم ومن جمعها على شراذم وشراذيم قول الشاعر:

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم تضحك مني التواق
يُنْفَر النَّيب عنها بين أسوقها لم يبق منشورها إلا شراذيم

(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٠:٨٩).

يبدو أنّ (شرذمة) من حيث البنية الصرفية فهي على وزن فعلة بكسر الفاء واللام الأولى وسكون العين (الصافي، ١٤١٦هـ، ٣:٧٧) وهي دالة على معنى الجمع وما لها مفرد من لفظها ويتضح لنا من هذا أنّ ما ذهب إليه اللغويون بأنّ (شرذمة) تشكّلت من أكثر من لفظ أمر ممكن وعلى هذا الأساس نرى اللفظة (شرذمة) منحوتة من كلمات ثلاثة وهي (شرم) و(شذر) و(شذ).

المطلب الثالث: المسار الصوتي لكلمة شرذمة

يدخل الصوت اللغوي في بناء الكلمة حيث تختلف دلالة المفردات باختلاف تركيب أصواتها. فدراسة أيّ لغة ترتبط على حد كثير بدراسة أصواتها، ولهذا نرى كل مفردة تتشكّل من الأصوات المحدودة التي ينقسم إلى قسمين هما: الصوامت والصوائت. يقصد بالصوامت تلك الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين في أثناء إنتاجها إلى قدر كبير من التضيق والتوتر والاحتكاك والغلق في بعض الأحيان. والصوائت أو الحركات وهي الأصوات التي تشغل موقع النواة فقط في المقطع ويشمل ذلك الفتحة والكسرة والضمة (النوري، ١٩٩٦م، ١:١٣٢). من هذا المنطلق فقد انقسم كلمة الشرذمة على مستوى مخارج الأصوات وكيفية خروج أصواتها على قسمين رئيسيين هما: أصوات صائتة قصيرة التي تتمثل في حركة الكسرة في حربي الشين والذال وحركة

الفتح في حرف الميم (شِرذِمَة) وأما أصوات صائتة طويلة: وهي (الألف، الواو، الياء) التي ما نجد هذا النوع في بنيتها.

هناك قسم آخر لأصوات الصامتة بحسب وضع الأوتار الصوتية حالة النطق بها من حيث ذبذبة هذه الأوتار أو عدم ذبذبتها، وتمثل في حالتين صوتيتين هما: الجهر والهمس. يظهر من خلال عدد حروف هذه الكلمة أنّ الأصوات المجهورة في مفردة الشرذمة هي الذال والزاي والميم وأما عكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس. نجد بأنّ شرذمة في بنيتها قد وظف بعضاً من الأصوات المهموسة كحرف الشين فهو صوت مهموس رخو، عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيتين ثمّ يتخذ مجراه في الحلق ثمّ الفم مع مراعاة أنّ منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أضيق منها عند النطق بالسین، نلاحظ عند النطق بالشين أنّ اللسان كلّه يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أنّ الأسنان العليا تقترب من السفلى (أنيس، ١٩٥٠م، ٣:٧٤). يتسم صوت الشين بلمح الصفير الذي يعدّ صفة قوة تمكن الصوت من التأثير في غيره من الأصوات. فضلاً على ذلك فإنّها يتسم بلمحي الاستطالة والتفشي اللذين يعتبران صفتي قوة في الصوت تمكّنه من التأثير في غيره من الأصوات (النوري، ١٩٩٦م، ١:٣٠٤). في حين أنّ صفة التفشي من الصفات الخاصة بحرف الشين ظهرت في بداية هذه الكلمة وأنّ معناها مستمدّة من أصواتها ولا سيّما جرس الشين الذي يفيد دلالة الانتشار والاضطراب والبعثرة وعرفه سيبويه «التفشي كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه عند النطق بها» (سيبويه، ١٤٠٨هـ، ١:٤٥٧). من هذا المنطلق نرى بأنّ لفظة شرذمة أخفّ من نظائرها كمفردات الجماعة والفئة والقوم والرهط. فلهذا نرى جمالية التناسب والانسجام بين صوت الشين ودلالة هذا اللفظ (الشرذمة) يعني التقطع والتفرق صارت محققةً.

عند النظر إلى المعاجم نلاحظ بأن كثيراً من المصادر التي تبدأ بحرف الشين فقد استعملت للدلالة على معانٍ مختلفة من الاضطراب والانتشار والبعثرة حسب سياقاتها المختلفة، منها: شَأَشَ القوم (تفرقوا)، شَذَا المسك شذوفاً (قويت رائحته وانتشرت)، شَقَأَ شعره بالمشط (فرقه)، شَطَّيَ القوم وتشَدَّروا (تفرقوا)، وأيضاً نرى مصادر كثيرة انتهت بحرف الشين وتدل على البعثرة والانتشار والاضطراب مادياً أو معنوياً، منها: جاش الماء جيشاً وجيوشاً بمعنى تدفق وجرى، ارتعش أيضاً بمعنى ارتعش، نفس يعنى تفرق وانتشر بعد تلبد، هاش القوم هوشاً وهيشاً بمعنى هاجوا واضطربوا، تحمَّشَ القوم: كثرت حركتهم (مصطفى، وآخرون، ١٤٢٧هـ، ٤٨٦:٢). ومن هنا نلاحظ أيضاً استعمال حرف الشين بأنّها من الأصوات المهموسة التي يغلب عليها صفة الحركية والرقّة والضعف، وهذا التنوع في الأصوات يؤدي إلى التنوع في الدلالات الصوتية. فعند النظر إلى بنية كلمة شردمة نرى بأن اختيار هذه الأصوات ليس اعتباطياً، ولا ريب أن لها أسلوباً جميلاً في توظيف الأصوات التي تناسب مع بعثرة النَّفَس عند خروج صوت الشين.

يظهر من خلال عدد حروف هذه الكلمة أنّ الأصوات المجهورة في اللغة الشردمة يعني الذال والراء والميم غلبت بصورة واضحة على الأصوات المهموسة. صوت الراء هو ثاني اثنين من حروف هذه المفردة وهو صوت مجهور مكرر منحرف من الأصوات الذلقية التي تخرج من طرف اللسان (بشر، ٢٠٠٠م، ١: ٣٦١). انفرد علماء العربية صفة التكرير على صوت الراء، ومُئى بها؛ لأنّ التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها، كما أنّها يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقتاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية (أنيس، ١٩٥٠م، ٢: ٦٢). لهذا نرى للمصادر التي جاءت في بدايتها حرف الراء دلالات ومعانٍ متنوعة، مثل التحريك والتكرار أو يلحظ صفة الرقة والليونة والسهولة من السمات الصوتية التي ظهرت بصورة جلية في صوت الراء. نحو: رجّه بمعنى هزّه وحركه بشدة، رجرج أي تحرك واضطرب، رعرع الشيء بمعنى حرّكه وزعزعه، رمع (اضطرب وتحرك) أو بمعنى الرقة والنضارة والرخاوة، رخص رخاصةً ورخصاً ورخصاناً أي لان، رخم الصوت (لان وسهل)، رهل لحمه رهلاً (اضطرب واسترخى) (مصطفى، وآخرون، ١٤٢٧هـ، ٢: ٣٢٩). الأصل في حرف الراء هو التفخيم، إلا أنه يرقق عند القراء في الحالة الساكنة التي يسبقها الكسر كما قال عنه ابن الجزري في باب الراءات:

وَرَقَّقِيَ الرَّاءَ إِذَا مَا كُسِّرَتْ كَذَلِكَ بَعْدَ الْكُسْرِ حَيْثُ سَكَّنَتْ

(ابن الجزري، ١٤٢٧هـ، ٥:١).

فلاحظ حالة ترقيق الراء عند كلمة ﴿شِرْذِمَةٌ﴾ بصورة ساكنة في (شِر) الذي جاءت في بداية المقطع الأول مسبوقه بكسر الأصلي.

من الصفات الخاصة التي تحملها صوت الراء ويمكننا أن نربطها بمعنى المعجمي والسياقي لكلمة شِرْذِمَةٌ دلالة الانحراف. الانحراف هو الميل بالحرف عن مخرجه عند النطق به حتى يصل بمخرج وله حرفان هما: اللام والراء ويسميان منحرفين لميلهما عن مخرجيهما عند النطق بهما إلى غيرهما من المخارج (غام، ١٤٢٥هـ، ١:١٢٨) وهذه السمة مشهودة في اللفظة (شِرْذِمَةٌ) كما تحددها المعاجم اللغوية. خاطب فرعون في هذه الآية ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ جيوشه لتحريضهم ضد المؤمنين وحاول أن ترهب الناس من أتباعهم. يبدو بأن الكلمة التي استعملها فرعون لتحقير الجماعة القليلة التي انفصلوا عنه وانحرفوا في عباداتهم عن جماعة الكافرين قد ناسبت بمخرجها مع حالة صوت الراء الذي من صفاته الإنحراف إلى صفة غيره وهذا الذي نراه في كلام سيبويه بقوله: «ومنها المكرر والمنحرف، وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام» (سيبويه، ١٤١٢هـ، ٤:٤٣٥). قد عبّر صوت الراء بمخرجه وصفاته عن معنى لفظ شِرْذِمَةٌ بالنظر إلى ما جاء في المعاجم بأن معناه القطعة من الشيء أو جماعة معينة منفصلة عن أصل جماعة كبيرة.

صوت الذال وهو صوت رخو مجهور يتم إنتاج هذا الصامت عند وضع اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى ثم يمر تيار الهواء عبر منفذ ضيق من منطقة الاقتراب محدثاً صوتياً احتكاكياً يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان (النوري، ١٩٩٦م، ١:١٦٠). بالرجوع إلى مادة حرف الذال، نلاحظ أنّ بعض المصادر التي مبتدأة بما تدل على الاهتزاز والاضطراب وشدة التحرك، وهذه المعاني متلائمة مع دلالة الحركة والاهتزاز في صوت الذال، نحو: ذبّ أي لم يستقر في مكان، ذحجته الريح (حركته وجرتته من موضع إلى آخر)، ذمّل البعير (سار سيراً سريعاً ليناً) وذاط في

مشيه (حرك منكبیه من كثرة اللحم)، كما نرى بعضها تدل معانيها على البعثة والانتشار بما يتوافق مع بعثة النفس في صوت الذال إيماءً وتمثيلاً كما أشار إليها ومن أمثلتها: ذرّ الشيء ذراً (فرقه وبدّده)، ذفر المسك (اشتدت رائحته وانتشر)، ذاع الخبر (انتشر)، ذاح الشيء ذوحاً (فرقه وبدّده) (مصطفى، وآخرون، ١٤٢٧هـ، ٣١٠:٢).

من الأصوات التي وردت في تركيب هذه المفردة صوت الميم، من حيث المخرج صوت مجهور ومائع وشفوي وأنفي، وهو من الأصوات المتوسطة أي أنها لسيت بالشديدة ولا بالرخوة، إنما هي حالة ثالثة إذ أنها تتسم بخواص الأصوات الصامتة، وفي الوقت نفسه هي شبيهة بالصوائت وهذا ما يوافق تسميتها عند المحدثين بأشباه أصوات المد واللين (أنيس، ١٩٥٠م، ٢٨:٣). إلا أنهم وضعوا لها تعبيراً جديداً فسّموها بالأصوات المائعة أو السائلة أي أنّها ليست بالانفجارية (شديدة) ولا بالاحتكاكية يعني رخوة. جاء عنها في خصائص الحروف العربية: «يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشفتين على بعضهما بعضاً في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس. فانطباق الشفة على الشفة مع حرف الميم يمثّل الأحداث الطبيعية التي يتم فيها السد والانغلاق كما أنّ ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني قبيل خروج صوت الميم يمثّل بداية الأحداث التي يتم فيه المص بالشففتين والجمع (حسن، ١٩٩٨م، ٧٢:١). وأخيراً وجدت مصادرًا مختلفة في المعجم مفتوحة بحرف الميم، منها دالة على المرونة والرقّة والتماسك حيث ينسجم مع إيجاء صوت الميم، منها: مهك الشيء (سحقه وملسه)، مَهْوُ السائل (رَقَّ وكثر ماؤه)، مانت الأرض ميثاً (لانت وسهلت)، ونرى بينهم مصادرًا تدل معانيها على الضم والجمع والكسب، تشبيهاً بحالة ضم الشفة على الشفة نحو: متش الشيء (جمعه)، مزن القرية (ملأها)، مشع (كسب وجمع) (مصطفى، وآخرون، ١٤٢٧هـ، ٨٦٣:٢). من ناحية الدراسة الصوتية ونظراً للعلاقة الموجودة بين الميم ومخرجها نرى بأنّ الانضمام والتماسك الذي يحمله بناء الميم عند نطقها التي حدث فيها انضمام الشفتين وجمعها، ينطبق ويتلاءم مع معنى الجماعة في هذه المفردة القرآنية.

نستنتج من دلالات مقاطع لفظة الشردمة وحروفها بأنّ الشين من الحروف الإيحائية كما وقع هذا الأمر لحرف الراء وهكذا جاءت أصوات هذه الكلمة متجانسة ومتلائمة مع معاني المصادر التي بدأت أو انتهت بها. فالشين وردت في أوّل الكلمة للانتشار والميم تتمثّل الانضمام والتماسك،

وأيضاً حرف الراء للتحرك والتكرار وهكذا صوت الذال للاهتزاز والاضطراب. وهذا يعني أنّ صفات هذه اللفظة ومخارج حروفها إلى حد كثير دلّت على معناها.

المتأمل إلى كلمة شرذمه يلحظ ذلك الانتقال الذي وقع بين أصوات كلمة شرذمة وهو من المهموس في الشين إلى المجهور في الراء والذال والميم ومن جهة الأخرى نرى الربط بين أصوات اللغة والحالة النفسية التي أصيبت بها فرعون حينذاك من الغضب والخوف إتجاه موسى (ع) وقومه ومن هذا المنطلق يقول إبراهيم أنيس: «بعض العلماء يعزّون تطور الأصوات من الشدة إلى الرخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب. فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس (أنيس، ١٩٥٠م، ٢: ١٦٨). فنجد القرآن يستخدم المفردات في بعض الأحيان بحسب الحالة النفسية أو الروحية للشخص أو الجماعة، فيستعمل الحرف اللين هادئ الجرس في مواطن الراحة وما هو شديد الصوت في مواقع الزجر والعنف. وإذا كان للحرف نصيبٌ عظيمٌ في أداء الدور النفسي في القرآن الكريم، فإنّ للكلمة أكبر تأثيراً في إجلاء المعاني النفسية بلا ريب. فالمفردة القرآنية تعتبر أحد أسرار الإعجاز البياني من جهة دقتها وقصديتها في الأداء وتقريب المعاني القرآنية إلى مداركنا البشرية بأوصاف حسية. ولا ينبغي أن ينحصر فهمنا للكلمة القرآنية عند الظاهرة اللغوية بل لا بدّ أن ترتبطها بسياقها والظروف التي أحاطت بها نفسياً وكذلك من حيث الأجواء الزمانية والمكانية. فاختيار المفردة القرآنية أمر ضروري لا يمكن إغفاله، فعندما يستعمل القرآن الكريم كلمةً ليدلّ على معنى معين كلفظة «شرذمة» لا يمكن أن يسد مسدها كلمة أخرى للدلالة على المعنى نفسه مثل كلمات رهط أو قوم أو قبيله أو فرقه وما شابهها. بالتأمل في الحروف والحركات التي بنيت منها الشرذمة من حروف شفوية كالميم وعلى حرف مذلق وهو الذال ومن حروف رخوة ومهموسة ومخارجها، تبين لنا أنّ هذه الحروف والحركات تشارك بصورة واضحة

في إيضاح الدلالة وتصوير حالة التحقير والرهبنة والإنذار لهذه المفردة التي تتوافق مع سياق الآية. من الواضح أنّ الحركة يؤدي سهماً عظيماً في تحديد دلالة المفردات، سواء على جانب بنيتها التشكيلية أو صورتها الإعرابية. والتنوع بين المصوتات القصيرة في شِرْذِمَة (الكسرة، الفتحة، السكون) شكّل لنا تنوعاً في موسيقى الكلمة، فضلاً عن أنّ مصوت الكسرة شغل حيزاً كبيراً من الحركات في هذه المفردة والذي ينتج من ارتفاع مقدمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء من دون أن يحدث أي احتكاك (حازم، ١٤٢٠هـ، ٥٣:١) فالكسرة مصوت حاد وضعيف، وكأتما تناسب مع الذلّة والقماءة ونفترق القلوب والجمع في معنى كلمة شِرْذِمَة.

الإيقاع الخارجي:

يستعمل الإيقاع كثيراً في مجال الموسيقى والشعر، فيعرف بأنه «موجود في النثر والشعر لأنه يتولد عن رجوع ظاهره صوتية أو ترددتها على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة أو متقابلة» (مندور، د، ١٩٣). فالإيقاع الصوتي القائم على المقطع والنبر والتنغيم. إذا كان الصوت هو أول ما تتكون منه الكلمة فإنّ المقطع هو ذلك الجزء الذي يأتي متوسطاً بين الصوت والكلمة، لذلك يعرف المقطع: «بأنه مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي» (شاهين، ١٤٠٠هـ، ٣٨). من الواضح أنّ كلّ كلمة بُنيت على مقاطع صوتية وأنّ المقطع الصوتي مجموعة من الأصوات التي تختلف قوّة إيقاعها من صوت إلى صوت آخر ولهذا نرى لغة الشردمة من حيث الكم وطول المقطع وغلقه مشتملة على أربعة أنواع من المقاطع هي:

الأول: المقطع القصير المغلق: يتكوّن من صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: (شِر) ونشير للمقطع القصير المغلق بالرمز (ص ح ص).

الثاني: المقطع القصير المفتوح وهو (ذ) يتكوّن من صامت + حركة قصيرة نرّمز للمقطع القصير المفتوح بالرمز (ص ح).

الثالث: المقطع القصير المفتوح أيضاً (م) الذي يتشكّل من صامت + حركة قصيرة ورمزه في هذا المقطع (ص ح).

والرابع: المقطع القصير المغلق أيضاً، وذلك على الشكل الآتي: (ة = ص ح ص).

النسيج المقطعي الذي يتألف منه الكلمة شردمة تكون من أربعة مقاطع صوتية، تتميز بالأصوات الرخوية (الشين والذال) ومتوسط الشدة والرخاوة في صوتي الراء والميم.

النَّبْرُ لغةً يعني الظُّهور والبروز، جاء في لسان العرب: «النَّبْرُ بالكلام: الهمز، وكلُّ شيءٍ رفع شيئاً فقد نبره، ونبر الحرف ينبره نبراً همزه» (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٨٩٠:٣). أمّا النَّبْرُ في مضمار علم الأصوات يعني النطق بمقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح من بقية المقاطع المجاورة له (بشر، ٢٠٠٠م، ٥١٢:١). عند قراءة كلمة «شردمة» نلاحظ أنّ الحرف الشين يقع عليها النبر وللنبر في الحقيقة قيم صوتية ودور نطقية بالنسبة إلى كلمات أخرى المستعملة في الآية ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾. ومن جهة أخرى جاءت هذه الكلمة (شردمة) لتؤدي وظيفة نبر الجملة أو النبر السياقي وهو أن يقصد المتكلم إلى كلمة في الجملة فيزيد من نبرها ويميّزها عن غيرها من كلمات الجملة رغبةً منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص (البهناوي، ٢٠٠٥م، ١٩٠:١).

التنغيم ظاهرة صوتية له تأثير بالغ في انتقال المعنى في الكلام من أسلوب إلى آخر، فالجملة الواحدة قد تتنوع معناها بتنوع صور نطقها وفقاً للحالة النفسية للمتكلم. هذه الآية ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ مقول لقول محذوف؛ لأنّ الآيات السابقة تضمن معنى النداء للحاشرين أن يقولوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٢٠:١٩) جاءت بصورة الجملة الخبرية المؤكدة بلام التوكيد في اللفظ (لشردمة) وبحرف «إِنَّ» الذي يفيد معنى التوكيد وبصفة «قليلون» تأكيداً لمعنى القلة فيها. تشتمل مجموعة من الكلمات المترابطة ليعبر عن حرص فرعون وشدة اضطرابه وعن الأوضاع النفسية بين المتكلم والمخاطب. المقصود بهؤلاء هم المؤمنون بموسى (ع) وفي اختيار اسم الإشارة هنا للإيدان بإزدراء شأهم، فتضمنت الجملة تحقيراً لشأن أتباع موسى (ع) وتجسيد

شدة غضب فرعون منهم. فلهذا نرى علاقةً وثيقةً بين التنعيم وحالات التَّفْسِيَةِ للمتكلم. كما يساعد التنعيم في تقسيم الجملة إلى الخبرية والاستفهامية وتعجبية، فنلاحظ في هذه الآية التنعيم الإيجابي الهابط وفقاً لما عرّفه تَمَام حَسَّان «تخفّض فيه النعمة من أعلى إلى أسفل المقطع المنبور» (تَمَام حَسَّان، ١٩٨٩م، ١: ١٦٩) وتكون النعمة الإيجابية في الآية الكريمة التي تبدأ ب (إِنَّ) لتدلّ على تأكيد إثبات الآية ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

المطلب الرابع: المسار البلاغي والنحوي لكلمة (شرذمة)

تعدّ الآليات البلاغية في الخطاب القرآني من الوسائل المهمة لتحقيق الإقناع، ولعلّ الوصف من أهم هذه الآليات التي تسهم بشكل فعّال في عملية الإقناع. جاءت لفظة (شرذمة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ على لسان فرعون وسياقها تحريض فرعون جيشه لمواجهة موسى (ع) وقومه من بني إسرائيل. من الأدوات التي يتوسّل بها فرعون لتحقيق الإقناع تكرير الصفة الذي يندرج تحت إطار البديع. يؤدي البديع دوراً حجاجياً في الخطاب بهدف الإقناع والتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم، لا على سبيل زخرفة الخطاب وتحسينه فقط، وهو من إستراتيجيات الإقناع في الخطاب القرآني وله وظيفتان، التبليغ وإفهام المخاطب الذي لم يفهم من جهة، وترسيخ الفكرة في الأذهان وتحقيق التأثير في المخاطب من جهة أخرى. يقسم التكرار إلى قسمين: التكرار في اللفظ والمعنى والتكرار في المعنى دون اللفظ (ابن الأثير، دت، ٣: ٣). جاء هذا النوع الأخير يعني تكرير المعنى دون اللفظ في هذا الخطاب، وهذا تكرير لكلمتين متواليّتين في لفظ واحد وهما: شرذمة وقليلون، وكان يمكن الاكتفاء بالمفردة الأولى تعبيراً عن القلّة، ولكن اتباعها بوصف قليلون جاءت للزيادة في احتقار بني إسرائيل واستصغار شأنهم، ويقصد باختيار جمع المذكر السالم الدال على القلة، الذلّة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنّهم لذلتهم، لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم (الزمخشري، ١٤٣٠هـ، ٣: ٧٦١). ووجه آخر في تقليدهم أيضاً قول الزمخشري وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد، قد يكون مبالغةً في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من الموصوفين به، كقولهم معاً: زيد جياحٌ مبالغةً في وصفه بالجوع، فكذلك ههنا جمع قليلاً، وكان الأصل إفراده فيقال: لشرذمة قليلة، كما أفرد في قوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ (النمل: ٦٦) ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة (الزمخشري، ١٤٣٠هـ، ٣: ٧٦١). وفي اسم الإشارة (هؤلاء) دلالة على ما كان فرعون يضمه في نفسه من احتقار للمؤمنين، فعبر

عنهم باسم الإشارة الموضوع للمشار إليه في المكان القريب تنزيلاً لقرب المكانة منزلة قرب المكان، من هذا المنطلق نرى المقصود البلاغي باسم الإشارة في هذا السياق التحقير، والغرض بقليلون تأكيد معنى القلة المتضمن في لفظ شرذمة. مع أنّ لفظة شرذمة لما كانت صيغتها صيغة مفرد كان الأولى أن يصفها بلفظ مفرد ويقول: شرذمة قليلة كما قال: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ (البقرة: ٢٤٩). فوجدت المفسرين قد انقسموا فيه على مذهبين: القسم الأول: يرى بعضهم أنّ وصف شرذمة بقليل وقليلون جائز من ناحية اللغوية، قال الفراء: «عصبة قليلة وقليلون وأكثر كلام العرب أن يقولوا: قومك قليل وقومنا كثير، وقليلون وكثيرون جائز عربي وأوثر قليل على قليلون وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى فظهرت أسمائهم على ذلك» (الفراء، د.ت، ٢: ٢٨٠). القسم الثاني: يقول الآلوسي: «قليلون صفة (شرذمة) وكان الظاهر (قليلة) إلا أنه جُمع باعتبار أنّ الشِردمة مشتملة على أسباب كل سبط منهم قليل، قد خالف البقائي كلام الآلوسي ويقول في سياق هذه الآية: «كان التعبير بالشِردمة موهماً لأهم في غاية القلة، أزال هذا الوهم بالتعبير بالجمع دون المفرد ليفيد أنه خبرٌ بعد خبر لا صفة وأنّ التعبير بالشِردمة إنما هو للإشارة إلى تفرُّق القلوب والجمع ولا سيّما ما للسلامة مع كونه أيضاً للقلة أدلُّ على أهم أوزاعٍ وفيه إشارة إلى أهم مع ضعفهم بقلة العدد آيسون من إسعاف بمدد وليس لهم أهبة لقتال لعدم العُدّة (البقائي، ١٩٨٤م، ٣٨: ١٤). من هذا المنطلق يقول ابن عاشور: «قليلون خبر ثان عن اسم الإشارة، فهو وصف في المعنى لمدلول (هؤلاء) وليس وصفاً لشرذمة ولكنّه مؤكّد لمعناها ولهذا جرى به بصيغة جمع السلامة الذي هو ليس من جموع الكثرة. وقليل إذا وصف به يجوز مطابقته لموصوفه كما هنا، ويجوز ملازمته الأفراد والتذكير كما قال السموأل:

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

نظيره في ذلك لفظ كثير» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٩:١٣٠) وقد جمعهما قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ (الأنفال: ٤٣). هذا الرأي الذي ذهب إليه الباحث وقليوبون مستعمل في صورة الجمع ولو نرى كلمة الشرذمة في الظاهر مفرداً إلا أنه حمل على المعنى، لأنها تعني جماعة قليلة من الناس وفقاً لما ورد في المعاجم، فتتوافق مع رؤوس الآيات وقافيتها التي على النون في السورة، ولو أفرد لكان جائزاً حملاً على اللفظ. يجوز في اسم الجمع إتيان الصفة بالإفراد والتذكير مراعاةً للفظ إن كان مذكراً نحو: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ (القم: ٤٤). وتأتي الصفة بالإفراد والتأنيث مراعاةً للفظ أيضاً إن كان مؤنثاً نحو: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقره: ١٢٨) وتأتي الصفة جمع المذكر مراعاةً للمعنى وهو الدلالة على الجمع، ومن ذلك ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مَوْسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤). وقوله ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ في هذه الآية جاء وصف اسم الجمع يعني (شرذمة) مع أنه مؤنث، جمع مذكر فهو يساوي الواحد في أحكامه بخلاف الجمع فيعامل معاملة كما قال ابن مالك في شرح التسهيل: «أو يساو الواحد دون قبح في خبره ووصفه» (ناظر الجيش، ١٤٢٨هـ، ٩:٤٥٠) ومثل هذا كلمة القوم وهو واحد في اللفظ، وصفته تجري على المعنى، كما قال سيبويه: «القوم مفرد وصفته لا تجيء إلا على المعنى ولا تقول: قوم ذاهب (سيبويه، ١٤١٢هـ، ٣:٢٤٧) وهذا يدل على أن اسم الجمع يأخذ أحكام الجمع المعنوية وقد يراعي فيه اللفظ.

نتائج البحث

توظيف الأصوات المجهورة ذات الصفة القوية في مفردة «شرذمة» (الراء والذال والميم) يعود إلى أن طبيعة اللغة العربية تميل إلى استعمال الصوامت المجهورة التي تتميز أصواتها بالقوة والشدة في مواضع وفي موضع أخرى تحتاج إلى أصوات تتوافق مع حالة الرقة والهدوء وذلك وفقاً مع طبيعة المخاطبين ومقتضى حالهم. يمكننا القول نتيجة أن هذه الكلمة في سياق الآية بتركيبها المورفولوجي وحرس حروفها لم تستعمل عفويًا وإنما جاءت لتتناغم مع معاني الترهيب والإزدراء والتحقير وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم.

التشكيل المقطعي لشرذمة ورد على الوجه الآتي:

(شر + ذ + م + ة)

قصيرمغلق + قصيرمفتوح + قصيرمفتوح + قصير مغلق

ومما يلفت الإنتباه في هذه المفردة ورود المقطع القصير فيها عدة مرات وأنّ كثرة ورود هذا النوع من المقاطع تتناسب مع معنى الجماعة القليلة. عند النظر إلى بناء «شرذمة» نفسها من حيث صفات الجهر والهمس نرى عدم التوازن بين عدد أصواتها وارتفاع نسبة الأصوات المجهورة (ر + ذ + م) التي أوضح في السمع من نظائرها المهموسة.

ظهور ظاهرة النبر في هذه الآية خاصةً في «شرذمة» إضافةً إلى معناها الأصلي وهو الجماعة القليلة يشير إلى معانٍ جديدةٍ كالتحقير والسخرية، كما ساهم التنغيم كظاهرة فوق التركيبية في تحديد أغراض المتكلم (فرعون) النفسية.

أظهر البحث أهمية التناسب الصوتي للمعاني التي تحملها اللفظة، فالحروف المستعملة في لفظة شرذمة تؤدي معنى ومقصوداً ونستطيع أن نلاحظ صفة إيحائية حرف الشين في أول هذه الكلمة التي تدلّ على النفسي والانتشار، ثم نرى الراء للتحرك وهكذا صوت الذال للاهتزاز والاضطراب وهي كلّها تمثل هنا مطابقة الصوت مع المعنى. الفرائد القرآنية تؤدي دوراً هاماً في سياق الآيات على وجه الإعجاز والتحدي، نرى حاجة السياق القرآني أو دقة القرآن الكريم في انتقاء مثل هذه الفرائد وأكد أنّ لكلّ كلمة دلالة خاصة ومعنى يشير إليه ولا يمكن للفظ آخر أن تؤدي الوظيفة الدلالية نفسها بصورة وافية حتى يتساوى معه في إبراز المعنى تماماً، وهذا يؤكد قصدية الألفاظ وعدم وجود الترادف بينها كالتفريق بين الشرذمة والفئة والجماعة. يرتبط سبب الحمل على المعنى ارتباطاً واضحاً بالسياق وبالمعنى المعجمي للمفردة، سبب الحمل على المعنى إلى حد كثير مرتبط بالسياق وبالمعنى المعجمي للمفردة، وكلمة شرذمة تستعمل في سياق التحقير أو الذم، فالمعنى اللغوي للشرذمة أي الجماعة القليلة ودخول الإشارة للجمع (هؤلاء) في الآية تدلّ على أنّ شرذمة اسم الجمع ولا نرى مفرداً من لفظها. نلاحظ في هذا السياق العدول عن مطابقة العدد في كلمة قليلون التي جاءت بصورة الجمع بالرغم من أنّ شرذمة بصيغة المفرد ويعدّ العدول عن صيغة المفرد

إلى صيغة الجمع من أساليب الحمل على المعنى. عبّر هذه الكلمة ببنيتها الصوتية والصرفية المختلفة عن الدلالة السخرية والتحقير من جانب فرعون لقوم موسى؛ لأنّه لا يغني غيرها غناها من مثل طائفة أو الفئة أو الفرقة وغيرها من الكلمات المترادفة وكلّ هذا يتضح لنا جمال دلالتها في مكانها، ولو جاءت في نص آخر غير القرآن ما نراه بهذه الأساليب البلاغية الجميلة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت)، المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد الحوفي، القاهرة: مكتبة الفجالة

ابن الجزري، محمد بن يوسف (١٤٢٧هـ)، منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، الطبعة الرابعة، تحقيق: أيمن رشدي السويدي، الرياض: دار النور.

الأستراباذي، رضي الدين (١٤٠٢هـ)، شرح شافيه ابن الحاجب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأشموني، علي بن محمد (١٣٧٥هـ)، منهج المسالك على ألفية ابن مالك، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي.

الأندلسي، أبو حيان (٢٠١٠م)، تفسير البحر المحيط، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتب العلمية.

أنيس، إبراهيم (١٩٥٠م)، الأصوات اللغوية، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة تحضة بالفجالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية.

ابن منظور، جمال الدين محمد (١٤١٤هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.

البقائي، إبراهيم بن عمر (١٩٨٤م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامية.

بشر، كمال (٢٠٠٠م)، علم الأصوات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب.

البهنساوي، حسام (٢٠٠٥م)، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة: دار العلوم.

تمام حستان (١٩٨٩م)، مناهج البحث في اللغة، د.ط، مكتبة النسرة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (١٤٢٢هـ)، فقه اللغة وسر العربية، الطبعة الأولى، التحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي.

حازم علي، كمال الدين (١٤٢٠هـ)، دراسة في علم الأصوات، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب.

حسن، عباس (١٩٩٨م)، خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق: مكتبة الأسد.

حطّاب، محمود شيت (١٣٨٦هـ)، المصطلحات العسكرية في القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفتح.

الخلي، أحمد بن يوسف (د.ت)، در المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: محمد الخراط، دمشق: دار القلم.

الحملوي، أحمد بن محمد (١٣٨٤هـ)، شذا العرف في فن الصرف، الرياض: دار الكيان العربي.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٠م)، *البيان والتبيين*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- جبل، محمد حسن حسن (١٤٢٧هـ)، *المختصر في أصوات اللغة العربية*، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الآداب.
- الزراعي، مصطفى صادق (١٣٩٣هـ)، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، الطبعة التاسعة، بيروت: دار الفكر العربي.
- الرازي، فخر الدين محمد (١٤٠١هـ)، *التفسير الكبير ومفاتيح الغيب*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر.
- الرمحشيري، محمود بن عمر (١٤٣٠هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار المعرفة.
- سيبويه، عمرو بن عثمان (١٤١٢هـ)، *الكتاب*، الطبعة الثالثة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- شاهين، عبدالصبور (١٤٠٠هـ)، *المنهج الصوتي للبنية العربية*، د.ط، بيروت: مؤسسه الرسالة.
- صافي، محمود (١٤١٦هـ)، *الجدول في إعراب القرآن وصرفه*، الطبعة الثالثة، دمشق: دار الرشيد.
- الصالح، صبحي (٢٠٠٩م)، *دراسات في فقه اللغة*، الطبعة الثانية، بيروت: دار الملايين.
- _____ (١٣٧٤هـ)، *نحو البلاغة*، قم: مركز البحوث الاسلاميه.
- الفراء، يحيى بن زياد (د.ت)، *معاني القرآن*، الطبعة الأولى، التحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار المصرية.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد (١٩٨١م)، *معجم العين*، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت: دار الهلال.
- قدوري الحمد، غانم (١٤٢٥هـ)، *مدخل إلى علم أصوات العربية*، الطبعة الأولى، الأردن: دار عمار.
- العسكري، أبو هلال (١٤١٨هـ)، *الفروق اللغوية*، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم.
- عكاشة، محمود (١٤٣٢هـ)، *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة*، الطبعة الثانية، القاهرة: دار النشر.
- المصطفوي، حسن (١٣٨٥هـ)، *التحقيق في كلمات القرآن*، الطبعة الأولى، طهران: مطبعة اعتماد.
- مندور، محمد (د.ت)، *في الميزان الجديد*، د.ط، مؤسسة هنداوي.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (١٤٢٨هـ)، *شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد*، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، القاهرة: دار السلام.

النوري، محمد جواد (١٩٩٦م)، **علم الأصوات العربية**، الطبعة الأولى، القدس: جامعة المفتوحة.
نمر، هادي (١٤٢٧هـ)، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، الطبعة الأولى، الأردن: دار الأمل.

Sources and references:

The Holy Quran

Al-Astarabadi, Muhammad bin Al-Hassan Al-Radi, **sharh alrady ealay alkafiyh ibn hajibi** (1417 AH). Volume one, 1 edition, Saudi Arabia: maktabat almalek fahad.

Al-Ashmouni, Ali bin Muhammad, (1375 AH). **Manhaj Al-Masalik FI Alfiya Ibn Malik**, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kitab AL-arabi.

Al-Andalusi, Abu Hayyan, (2010 AD). **Tafasyr albahr almuhyti**, 3edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alamiyyah.

Anis, (Ibrahim (1950 AD). **AL'aswat allughuy**, 3rd edition, Egypt: muktabat nahdat Faggala.

Ibn Ashour, Muhammad Taher (1984 AD). **Tahrir Wa Itonir**, tunisia: dar Tunisian.

Ibn Manzoor Al-Ansari, Jamal Al-Din Muhammad (1414 AH). **Lisan Al-Arab**, 3 edition, Beirut: Dar Saderr.

Al-Baqi, Ibrahim bin Omar (1984 AD). **nuzam aldarar fi tanasub alayat walsuwr**, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islamiya.

Al Tha'alabi, Abu Mansour Abdul Malik bin Muhammad (1422 AH). **fiqh allughat wasiru alearabia**, 1edition, investigator: Abd al-Razzaq al-Mahdi, publisher: 'iihya' alturath alearabii.

Hattab, Mahmoud Sheet (1386 AH). **almustalahat aleuskrayt fi Qur'an**, 1st edition, Beirut: Dar Al-Fath.

Al-Halabi, Ahmed bin Youssef (D.T). **Dar al-Masun in fi eulum alkitab almaknun**, investigation: Muhammad al-Kharrat, Damascus: Dar al-Qalam.

Al-Hamalawy, Ahmed bin Muhammad (1384 AH). **Shaza al-Urf fi fani alsarf**, Riyadh: Dar Al-Kian Al-Arabi.

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr (1960 AD). **Albayan wa Itabyin**. investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun, 3rd edition, Egypt: Maktabat Al-Khanji.

Jabal, Muhammad Hassan Hassan (1427 AH). **Al-Mukhtasar fi Aswat al-Lughah al-Arabiyya**, 4edition, Cairo: muktabat aladab

Al-Rafei, Mustafa Sadiq (1393 AH). **ieejaz alquran walbalaghat alnnbwy**, 9th Edition, Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Razi, Al-Fakhr Al-Din Muhammad (1401 AH). **Altafsir Alkabir. aMafatiholgib**, 1edition, Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar (1430 AH). **Al-Kashaf an haqayiq ghawamid, An-Tazil**, 3rd Edition, Beirut: Dar Al-Maarifa.

Sibawayh, Amr bin Othman, (1412 AH). **Al-Kitab**, 3rd edition, investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Cairo: Maktabat alkhajji.

Shaheen, Abdul Sabour (1400 AH). **almanhaj alsawtiu libinyat learabiati**, Dr. I, Beirut: Al-Risala Institution.

- Safi, Mahmoud (1416 AH). **aljadwal fi 'ierab Qur'an**, 3edition, Mahmoud, Damascus: Dar Al-Rasheed.
- Al-Saleh, Sobhi (2009 AD). **dirasat fi fiqh allughati**, 2edition, Beirut: Dar Al-Malayyin.
- Al-Saleh, Subhi (1374 AH). **Nahj al-Balaghah**, Qom: Islamic Research Center. Al-Farra', Abu Zakariya Yahya bin Ziyad (Dr. T). **maeani alquran**, 1edition, investigator: Muhammad Ali Al-Najjar, Egypt: Dar Al-Masria.
- Al-Farahidi, Khalil bin Ahmed (1981 AD). **Al-Ain muejam**, investigation: Mahdi Al-Makhzoumi; Ibrahim Al-Samarrai, Beirut: Al-Hilal.
- Al-Askari, Abu Hilal (1418 AH). **alfuruq allughawytu**, investigation: Muhammad Ibrahim Selim, Cairo: Dar Al-Alam.
- Al-Mustafawi, Hassan (1385 AH). **Altahqiq fi Kalamat Al Qur'an**, 1st edition, Tehran: matbaeat aietimadi.
- Nazer Algaish, Muhammad bin Yusuf bin Ahmed (1428 AH). **sharah alttshyl almsmma tamhid alqawaeid bisharh tashil alfawayidi**, 1edition, investigation: Ali Muhammad Fakher and others, Cairo: Dar al-Salam.

بررسی اسم های جمع تکامد در سوره شعراء

کلمه «شرذمة» به عنوان نمونه

نوع مقاله: پژوهشی

سید رضا سلیمان نژاده نجفی، علی سالارپور*

^۱ دانشجوی گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه اصفهان، دانشکده زبان های خارجی، ایران، اصفهان

^۲ دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه اصفهان، دانشکده زبان های خارجی، ایران، اصفهان

چکیده

این پژوهش به بررسی برخی واژه های گروه های انسانی که بر عدد دلالت دارند و از خود شکل مفردی ندارند می پردازد. یکی از این تکامد ها کلمه (شرذمه) است که فقط یک بار در سوره شعراء آمده است. هدف این پژوهش بررسی معانی این واژه، ساختار آوایی و صرفی آن، ارزیابی دیدگاه دستور زبانان و واژه شناسان درباره ی آن، به ویژه واژه (قلیل) که پس از آن به عنوان خبر یا صفت جمع بسته شده و سپس بررسی جنبه های زیبایی شناختی و اهداف بلاغی آن در جمله ای که بکار رفته، می باشد. این پژوهش بر اساس یک مقدمه و پنج موضوع که در آن تلاش برای به تصویر کشیدن مهم ترین ویژگی های زبانی و بلاغی، شناخت ساختاری و دستوری این واژه در جمله، هماهنگی و تأثیرپذیری بین آوا و معنا بنا شده است، و بر پایه روش استقرائی و تحلیلی برای نشان دادن اعجاز بلاغی و لغوی قرآن کریم در انتخاب واژه ها و بیان معانی آنها انجام شده است. از بارزترین نتایج این تحقیق، عدم امکان جایگزینی کلمه ای به جای کلمه دیگر در یک سیاق در قرآن کریم و نیز جواز حمل معنا بر عدد می باشد.

کلیدواژه ها: تکامدها، سوره شعراء، شرذمه، صرف، آوا.